Mukatil Muddessir Suresi

مقاتل - 150 :

سورة المدثر :

سورة المدثر
مكيةٌ ، عددُها ستٌ وخمسونَ آيةً كوفي

1-(يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ)

بسم الله الرحمن الرحيم
{ يا أيها المدثر } يعني النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنَّ كفارَ مكةَ آذَوهُ ، فانطلقَ إلى جبلِ حِراءَ لِيَتوارى عنهم ، فبينما هو يمشي ، إذ سَمِعَ مُناديا يقولُ : يا محمد ، فنظرَ يمينا وشمالا وإلى السماءِ ، فَلمْ يَرَ شيئا ، فمضى على وجهِهِ ، فنُودِيَ الثانيةَ : يا محمد ، فَنَظَرَ يمينا وشمالا ، ومِنْ خَلْفهِ، فَلَمْ يَرَ شيئا إلا السماء ، فَفَزِعَ ، وقالَ : لعلَ هذا شيطانٌ يدعوني ، فمَضى على وجههِ ، فنُودي في قَفَاهُ : يا محمد ، يا محمد ، فنظرَ خلفَهُ ، وعن يمينهِ ، ثم نظرَ إلى السماءِ ، فرأى مثلَ السريرِ بينَ السماءِ والأرضِ ، وعليه دَرْبُوكَةٌ قد غلطت (غَطَّتِ) الأفقُ ، وعليه جبريلُ ، عليه السلامُ ، مثلُ النورِ المتوقدِ يَتلألأُ حتى كادَ أنْ يَغشى البصرُ ، ففَزِعَ فَزَعا شديدا ، ثم وَقع مَغشيا عليه ولَبِثَ ساعةً .
ثم أفاقَ يمشي ربه (وَبِهِ) رَعدةٌ شديدةٌ ، ورِجْلاهُ تصْطَلِكانِ راجعَا حتى دخلَ على خديجةَ ، فَدعا بماءٍ فَصَبَّهُ عليهِ ، فقالَ : دثروني ، فدثَّروُه بِقَطِيفَةٍ حتى استدفَأَ ، فلما أفاقَ ، قال : لقد أشفقتُ على نفسي ، قالتْ لهُ خديجةُ : أبشرْ فواللهِ لا يَسُوؤكَ اللهُ أبدا لأنكَ تَصْدُقُ الحديثَ ، وتَصِلَ الرحِمَ ، وتَحْمِلُ الكلَّ ، وتُقْرِى الضيفَ ، وتُعينُ على نوائبِ الخير .
فأتاه جبريلُ ، عليه السلامُ ، وهو مُتَقنِّعٌ بالقطيفةِ ، فقال :{ يا أيها المدثر } بِقطيفةٍ ، الْمُتَقَنِّعُ فيها

2-(قُمْ فَأَنْذِرْ)

{ قم فأنذر } كفارُ مكةَ العذابَ أِنْ لم يُوحدوا اللهَ تَعالى

3-(وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ)

{ وربك فكبر } يعني فَعَظِّم ، ولا تُعظِّمنَّ كفارَ مكةَ في نفسِكَ ، فقامَ من مَضجعِهِ ذلكَ ، فقالَ : اللهُ أكبرُ كبيرا ، فَكبرتْ خديجةُ ، وخرجتْ وعلِمتْ أنه قد أُوحي إليهِ

4-(وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ)

{ وثيابك فطهر } يقولُ : طَهِّرْ بالتوبةِ مِن المعاصي ، وكانت العربُ تقولُ للرجلِ : إذا أذْنَبَ أنه دَنَّسَ الثيابَ ، وإذا تُوفي ، قَالوا : إنَّه لَطاهِرُ الثيابِ

5-(وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ)

{ والرجز فاهجر } يعني الأوثانُ ، يساف (أسافُ) ونائلةُ وهما صنمانِ عندَ البيتِ يُمسحُ وجُوهَهُما مَنْ مَرَّ بهما مِنْ كفارِ مكةَ ، فأمرَ اللهُ تباركَ وتعالى النبيَّ صلى الله عليه وسلم أنْ يَجْتَنبْهُما ، يعني بالرجزِ أوثانٌ لا تتحركُ بمنزلةِ الإبلِ ، يعني داءٌ يَأخذُها ذلكَ الداءُ ، فلا تتحركْ مِنْ وَجَعِ الرِّجزِ فَشَبَّهَ الآلهةَ بها .

6-(وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ)

ثم قال :{ ولا تمنن تستكثر } يقولُ : ولا تُعطِ عَطيةً لِتُعطَى أكثرَ مِنْ عَطِيَّتِكَ

7-(وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ)

{ ولربك فاصبر } يُعزي نبيَّهُ صلى الله عليه وسلم لِيصبرَ على الأذى والتكذيبِ مِنْ كُفارِ مَكةَ .

8-(فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ)

{ فإذا نقر في الناقور } يعني نُفخَ في الصورِ ، والنَّاقورُ القَرْنُ الذين (الذي) يَنفخُ فِيه إسرافيلُ، وهو الصُّورُ

9-(فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ)

{ فذلك يومئذ يوم عسير } يعني مشَقَّتُهُ وشِدَّتُهُ،

10-(عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ)

ثم أخبرَ على مَنْ عَسَّرَهُ ، فقال :{ على الكافرين غير يسير } غيرُ هيِّنٍ ، ويَهونُ ذلك على المؤمنِ كأدنى صلاتهِ

11-(ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا)

{ ذرني ومن خلقت وحيدا } يعني الوليدُ بنُ المغيرةِ الْمَخْزُومِيِّ ، كان يُسمى الوحيدُ في قومهِ ، وذلكَ أن اللهَ عزَّ وجلَ أنزلَ على النبيِ صلى الله عليه وسلم { حم تنزيلُ الكتابِ من اللهِ العزيزِ العليمِ غافرِ الذنبِ وقابلِ التوبِ شديدُ العقابِ ذي الطَّولِ لا إلهَ إلا هو إليه المصيرُ } [ غافر :1-3 ] .
فلما نزلتْ هذه الآيةُ قامَ النبيُ صلى الله عليه وسلم في المسجدِ الحرامِ فقرأها والوليدُ ابنُ المغيرةِ قريبا منه يستمعُ إلى قراءتِهِ ، فلما فَطَنَ صلى الله عليه وسلم أنْ الوليدَ بنَ المغيرةِ يستمعُ إلى قراءتهِ أعادَ النبيُ صلى الله عليه وسلم يَقرأ هذهِ الآيةِ :{ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز } في مُلكهِ { العليم } بخلقهِ { غافر الذنب } لِمَنْ تابَ مِن الشركِ ، { وقابل التوب } لِمَن تابَ مِن الشركِ ، { شديد العقاب } لمن لم يَتُبْ مِن الشركِ { ذي الطول } يعني ذي الغِنى عَمَّنْ لم يُوحِّدْ ، ثم وحَّد الربُ نفسّهُ حين لم يُوحدْهُ كفارُ مكةَ ، فقالَ :{ لا إله إلا هو إليه المصير } يعني مصيرُ الخلائقِ في الآخرةِ إليه ، فلما سمعها الوليدُ انطلقَ حتى أتى مجلسَ بني مخزومٍ ، فقالَ : واللهِ لقد سمعتُ مِن محمد كلاما آنفا ما هو من كلامِ الإنسِ ، ولا مِن كلامِ الجنِ ، وأنَّ أسفلُهُ لُمْعِرقٌ ، وأن أعلاهُ لَمُوفِقٌ ، وأن له لَحلاوةٌ ، وأن عليه لَطلاوةٌ ، وأنه لَيعلو وما يُعلى .
ثم انصرف إلى منزلهِ ، فقالتْ قريشٌ : لقد سبأ (صَبأ) الوليدُ ، واللهِ لَئِنْ صَبأ لَتَصْبون (لَتَصْبُو) قريشُ كلُّها ، وكانَ يقالُ للوليدِ : ريحانةُ قريشٍ ، فقال أبو جهلٍ : أنا أكْفيْكُموهُ ، فانطلقَ أبو جهلٍ حتى دخلَ على الوليدِ ، فقعدَ إليه كَشِبْهِ الحزينِ ، فقال له الوليدُ : ما لي أراكَ يا ابنَ أخي حزينا ؟ فقال أبو جهلُ : ما يمنعُنِي أن لا أحزنَ وهذهِ قريشُ يجمعونَ لكَ نفقةً لِيُعِينُوكَ على كِبَرِكَ ، ويزعُمون أنكَ إنما زيَّنْتَ قول محمدٍ لِتُصيبَ مِنْ فَضلِ طَعامهِ ، فغضبَ الوليدُ عند ذلك ، وقال : أو ليسَ قد علمتْ قريش أني مِن أكثرِهم مالا وولدا ، وهل يَشبعُ محمدٌ وأصحابهُ مِن الطعامِ ، فيكونُ لهم فضلٌ ؟ فقال أبو جهل : فإنهم يزعمون أنك إنما زَينتَ قولَ محمدٍ من أجلِ ذلك .
فقام الوليدُ فانطلقَ مع أبي جهلِ ، حتى أتى مجلسِ قوه (قومِ) بني مخزومٍ ، فقالَ : تزعمونَ أن محمدا كاهِنٌ ، فهل سمعتموهُ يُخبرُ بما يكون في غدٍ ؟ قالوا : اللهم لا ، قال : ويزعمون أن محمدا شاعر ، فهل رأيتموه يَنطق فيكم بشعرٍ قطٍ ؟ قالوا : اللهم لا ، قال : وتزعمون أن محمد (محمدا) كذابٌ ، فهل رأيتموه يكذبُ فيكم قطُ ؟ قالوا : اللهم لا ، وكان يُسمى محمد صلى الله عليه وسلم قبل النبوة الأمينُ ، فبَرَّأهُ من هذه المغالة (المقالةِ)كلِها .
فقالتْ قريشُ : وما هو أبا المغيرةِ ؟ فتفكرَ في نفسهِ ما يقولُ عن محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، ثم نظرَ فيما يقولُ عنه ، ثم عَبسَ وجههُ ، ويسر (بَسَر) يعني وكَلَحَ ، فذلك قولهٌ عزَّ وجلَّ :{ إنه فكر وقدر } ، وما يقولُ لمحمدٍ ، فقدَّرَ له السحرَ ، يقولُ الله تباركَ وتعالى :{ فقُتل } يعني لُعنَ { كيف قدر } لمحمدٍ صلى الله عليه وسلم السحرَ ، ثم نظرَ ، ثم عبسَ ، يقول : كَلح وبَسر ، يعني وتغيرَ لونُهُ يعني أعرضَ عن الإيمانِ { استكبر عنه فقال } الوليدُ لقومِهِ :{ إن هذا } الذي يقولُ محمدٌ { إلا سحر يؤثر } فقال له قومُهُ وما السحرُ يا أبا المغيرةَ ؟ وفرحوا ، فقال : شيءٌ يكونُ ببابلَ إذا تعلمهُ الإنسانُ يُفرِّقُ بينَ الاثنينِ ومحمدٌ يَأثُرُهُ ، ولمَّا يَحْذِفُهُ بعدُ وأيْمُ اللهِ ، لقد أصابَ فيه حاجتَهُ أمَا رأيتُمُوهُ فَرقَّ بين فلانٍ وبين أهلهِ ، وبينَ فلانٍ وبين أبيه ، وبين فلان وبين أخيه ، وبين فلان وبين مَولاهٌ ، فهذا الذي يقول محمدٌ سحرٌ يُؤثرُ عن مُسليمةَ بنِ حبيبٍ الحنفيِ الكذابِ يقول : يَرويهِ عنهُ ، فذلكَ قوله :{ إن هذا إلا سحر يؤثر } يقول : إن هذا الذي يقول محمدٌ إلا قولُ بَشرٍ .
قال الوليدُ بنُ المغيرةِ : عن يَسارِ أبي فَكِيهةَ هو الذي يأتِيهِ بهِ مِنْ مسيلمةَ الكذابِ ، فجعلَ اللهُ لَه سَقرٌ ، وهو البابُ الخامسُ مِن جهنمٍ ، فلما قال ذلك الوليدُ شَقَى (شَقَّ) ذلك على النبيِ صلى الله عليه وسلمَ ما لم يَشُقَّ عليه ، فيما قُذفَ بغيرهِ من الكذبِ ، فأنزلَ اللهُ تعالى على نبيهِ صلى الله عليه وسلم يُعزيهِ لِيصبرَ على تكذيبِهم ، فقال : يا محمدُ { كذلك ما أتى الذينَ مِنْ قبلهِم مِنْ رسولٍ إلا قالوا ساحرٌ أو مجنونٌ } [ الذاريات :52 ] ، وأنزلَ في الوليدِ بنِ المغيرةِ :{ ذرني ومن خلقتُ وحيدا } يقول : خَلِّ بيني يا محمدُ وبين مَنْ خلقتُ وحيدا ، يقول : حينَ لم يكن له مالٌ ولا بنونٌ ، يعني خَلِّ بيني وبينه ، فأنا أتفردُ بهلاكهِ ، وأما الوليدُ ، يعني خَلقتُهُ ليس له شيءٌ ، يقولُ عز وجل فأعطيتُهُ المالَ والولدَ .
فذلك قوله :{ وجعلت له مالا ممدودا }

12-(وَجَعَلْتُ لَهُ مَالا مَمْدُودًا)

{ وجعلت له مالا ممدودا } يعني بالمالِ بُستانُهُ الذي له بالطائفِ ، والممدودُ الذي لا ينقطعُ خيرُهُ شتاءً ولا صيفا ، كقولهِ :{ وظل ممدود } يعني لا ينقطعُ

13-(وَبَنِينَ شُهُودًا)

{ وبنين شهودا } يعني حضورا لا يغيبونَ أبدا عنْهُ في تجارةٍ ولا غيرِها لكثرةِ أموالهِم بمكةَ ، وكلهُمْ رجالٌ منهم الوليدُ بنُ الوليدِ ، وخالدُ بنُ الوليدِ ، وهو سيفُ اللهِ أسلمَ بعد ذلك ، وعُمَارةُ بنُ الوليدِ ، وهشامُ بنُ الوليدِ ، والعاصُ بنُ الوليدِ ، وقيسُ بنُ الوليدِ ، وعبدُ شمسِ بنُ الوليدِ .

14-(وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا)

ثم قالَ :{ ومَهَّدْتُ له تمهيدا } يقولُ : بسطتُ له في المالِ والولدِ والخيرِ بَسطا

15-(ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ)

{ ثم يطمع أنْ أزيدَ } لا أُزِيدُهُ بلْ أقطعُ ذلك عنه وأُهلِكه ، ثم منعهُ اللهُ المالَ ، فلم يُعطِهِ شيئا حتى افتقرَ وسألَ الناسَ ، فأهلكهُ اللهُ تَعالى ، وماتَ فقيرا في الْمُسْتَهزَئينِ .

16-(كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا)

ثم نعتَ عملُهُ الخبيثُ ، فقال :{ كلا إنه كان لآياتنا عنيدا } يعني كان عن آياتِ القرآنِ مُعرِضا مُجَانبا له لا يُؤمنُ بالقرآنِ .

17-(سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا)

ثم أخبرَ اللهُ تعالى ما يَصنعُ به في الآخرةِ ، فقالَ :{ سأرهقه صعودا } يعني سَأُكلِّفُهُ أنْ يَصعدَ على صخرةٍ مِن النارِ مَلساءَ في البابِ الخامسِ ، واسمُ ذلك البابُ سَقَرٌ ، في تلكَ الصخرةِ كُوى تَخرجُ منها ريحٌ ، وهي ريحٌ حارةٌ ، وهي تُناثرُ لحمَهُ يقولُ الله جلَ وعزَ :{ سأرهقه صعودا } يقولُ : سأُغْشِى وجهُهُ تلكَ الصخرةِ ، وهي جبلٌ مِن نارٍ طولُهُ مسيرةُ سبعينَ سنةً ، ويُصْعَدُ به فيها على وجههِ ، فإذا بلغَ الكافرُ أعلاها انحطَّ إلى أسفلِها ، ثم يُكلَّفُ أيضا صُعودَها ، ويَخرجُ إليه مِن كُوى تِلك الصخرةِ ريحٌ باردةٌ مِن فوقِها ومِن تحتِها تقطعُ تلكَ الريحُ لَحْمَهُ ، وجِلدَةُ وجههِ ، فكُلما أُصعِدَ أصَابتُهُ تلكَ الريحُ وإذا انحطَّ ، حتى ينتثرَ اللحمُ مِن العظمِ ، ثم يَشربُ مِنْ عية آنيةٍ ، التي قد انتهى حرُها ، فهذا دأبُهُ أبدا .

18-(إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ)

ثم قال ، يعني الوليدُ بنُ المغيرةِ :{ إنه فكر } في أمرِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم فزعمَ أنه ساحرٌ ، وقالَ مثلَ ما قالَ في التقديمِ { وقَدَّرَ } في قوله : إن محمدا يفرقُ بين الاثنينِ

19-(فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ)

{ فقتل } يقول : فلُعن { كيف قدر } السِّحرَ

20-(ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ)

{ ثم قتل كيف قدر } يعني ثم لُعنَ كيف قدَّر

21-(ثُمَّ نَظَرَ)

{ ثم نظر } فيما يقولُ لمحمدٍ صلى الله عليه وسلم من السحرِ

22-(ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ)

{ ثم عبس } وجهُهُ يعنى كَلَحَ كقولهِ :{ عبس وتولى } [ عبس :1 ] ، يعنى كَلَحَ وجوه (وَجْهُ) ابنُ أمِّ مَكتومٍ { وبسر } يعني وتغيرَ لَونُ وجههِ

26-(سَأُصْلِيهِ سَقَرَ)

{ سأصليه سقر } يعني البابُ الخامسُ مِن جهنمٍ .

28-(لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ)

ثم أخبرَ اللهُ عنها تعظيما لها ، لشدتِها لِيعذِبَهُ بها ، فقال :{ لا تبقي ولا تذر } يعني لا تُبقي النارُ إذا رأتهُمْ حتى تأكلَهم ولا تَذرهُم إذا حَلفُوا لها حتى تواقِعَهم

29-(لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ)

{ لواحة للبشر } مُحْرِقَةٌ للخَلْقِ

30-(عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ)

{ عليها تسعة عشر } يقولُ : في النارِ مِن الملائكةِ تسعةَ عشرٍ خَزنتُها ، يعني مَالكا ، ومعهُ ثمانيةَ عشرَ مَلَكا ، أعينُهم كالبرقِ الخاطفِ ، وأنيابُهم كالصياصِى ، يعني مثلُ قُرونِ البقرِ وأشعارِهم تَمسُّ أقدامُهم ، يخرجُ لهبُ النارِ مِن أفواهِهم ، ما بينَ مَنْكِبَيْ أحدهِم مسيرةُ سبعينَ سنةً يَسعُ كفُّ أحدهِمْ مثلُ ربيعةَ ومُضَرٍ ، قد نُزِعتْ منهم الرأفةُ والرحمةُ غِضَابا يدفعُ أحدهم سبعينَ ألفا ، فيُلقيهم حيثُ أرادَ مِن جهنم ، فيَهوى أحدُهُم في جهنمَ مسيرةَ أربعينَ سنةً ، لا تَضرُّهم النارُ لأنَّ نُورهم أشدُّ مِن حَرِّ النارِ ، ولولا ذلك لم يَطيقوا دخولَ النارِ طُرفةَ عينٍ ، فلما قال الله :{ عليها تسعة عشر } ، قال أبو جهلُ بنُ هشام : يا معشرَ قريشٍ ، مَا لِمحمدٍ مِن الجنودِ إلا تسعةَ عشرَ ، ويزْعُمُ أنهم خَزنةُ جهنمَ يَخوفُكم بِتسعةَ عشرَ ، وأنتم ألَدُّهُمْ أيعجَزُ كلُّ مائةٍ منكم أنْ تَبطشَ بواحدٍ منهم ، فَيخرجوا منها .
وقال أبُو الأشَدَّيْنِ: اسْمُهُ أُسَيْدُ بْنُ كَلْدَةَ بنُ خَلفٍ الجُمَحِيُّ: أنا أكفيكم سبعةَ عشرةَ ، أحملُ منهم عَشْرةً على ظهري ، وسبعةً على صدري ، واكفونِي منهم اثنينِ ، وكان شَديدا ، فسمى أبا الأشَدَّينِ لشدتِهِ بذلك سُمي ، وكنيتُهُ أبو الأعورِ .

31-(وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلا مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلا هُوَ وَمَا هِيَ إِلا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ)

قال الله تعالى :{ وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكةً } يعنى خزن (خُزَّانُ) النارِ { وما جعلنا عدتهم } يعني قِلَّتُهم { إلا فتنة للذين كفروا } حين قال أبو الأشَدَّينِ ، وأبو جهلٍ مَا قالا ، فأنزلَ اللهُ تعالى في قولِ أبي جهلٍ : مَا لِمُحمدٍ مِن الجنودِ إلا تسعةَ عشرَ ، { وما يعلم جنودَ ربك إلا هو } يقولُ : ما يعلمُ كثرتُهم أحدٌ إلا اللهُ . وأنزلَ اللهُ في قولِ أبي الأشَدَّينِ : أنَا أكفيكُم منهم سبعةَ عشرَ :{ عليها ملائكةٌ غِلاظٌ شِدادٌ } [ التحريم :6 ] { وما جعلنا أصحب النار إلا ملائكة } يعنى خُزَّانُ النارِ { وما جعلنا عدتهم } يعني قِلَّتُهم { إلا فتنة للذين كفروا } يعني أبا جهلٍ ، وأبا الأشَدَّينِ ، والمستهزئينَ مِن قريشٍ ، { لِيستيقنَ } لِكي يَسْتَيْقنَ { الذين أوتوا الكتاب } يقولُ : لِيعلمَ مُؤمنو أهلَ التوراةِ أنْ الذي قالَ محمدٌ صلى الله عليه وسلم حقٌ ، لأنَّ عِدةَ خُزَّانُ جهنمٍ في التوراةِ تسعةَ عشرَ .
{ ويزداد الذين آمنوا إيمانا } يعني تصديقا ولا يَشكُّوا في محمدٍ صلى الله عليه وسلم بما جاء بهِ { ولا يرتاب } يقول : ولِكي لا يَرتابَ يعني لِكي لا يَشُكَّ يقولُ : لِئلا يَشُكَّ { الذين أوتوا الكتاب } يعني أهلُ التوراةِ { و } لا يشك { والمؤمنون } أن خزنةَ جهنمٍ تسعةَ عشرَ { وليقول الذين في قلوبهم مرض } يعني الشكُ ، وهم اليهودُ مِن أهلِ المدينةِ { والكافرون } مِن أهلِ مكةِ ، يعني مشركي العربِ { ماذا أراد الله بهذا مثلا } يعني ذِكْرُهُ عِدةُ خَزنةَ جهنمٍ ، يَسْتَقِلُّونَهم .
يقول الله عز وجل :{ كذلك يضل الله } بهذا المثلُ { من يشاء } عن دينهِ { ويهدي من يشاء } إلى دينهِ وأنزلَ في قولِ أبي جهلٍ ، وأبي الأشَدَّينِ ما لِمحمدٍ مِن الجنودِ إلا تسعةَ عشرَ ، فقال الله تعالى :{ وما يعلم جنود ربك إلا هو } من الكثرةِ حينَ اسْتَقَلُّوهُمْ ، فقال أبو جهلٍ لقريش : أيعجزُ . . . مثلُ ما قالَ في التقديمِ ، وقالوا ما قالوا .
ثم رجعَ إلى سَقرٍ ، فقال :{ وما هي } يعني سَقَرَ { إلا ذكرى للبشر } يعني سقرُ تَذكرٌ وتفكرٌ للعالَمِ .

32-(كَلَّا وَالْقَمَرِ)

ثم أقسمَ الربُ مِن أجلِ سَقَرَ ، فقال :{ كلا والقمر }

33-(وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ)

{ والليل إذ أدبر } يعني إذا ذهبتْ ظُلْمَتُهُ

34-(وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ)

{ والصبح إذا أسفر } يعني ضوءُهُ عن ظُلمةِ الليلِ

35-(إِنَّهَا لإِحْدَى الْكُبَرِ)

{ إنها } إنَّ سَقرَ { لإحدى الكبر } مِن أبوابِ جهنمَ السبعةَ : جهنمُ ، ولَظى ، والْحُطَمةُ ، والسعيرُ ، وسقرُ ، والجحيمُ ، والهاويةُ

36-(نَذِيرًا لِلْبَشَرِ)

{ نذيرا } يعني تذكرةً { للبشر } يعني للعالمينَ

37-(لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ)

{ لمن شاء منكم أن يتقدم } في الخيرِ { أو يتأخر } منه إلى المعصية هذا تهديدٌ ، كقولهِ :{ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر } [ الكهف :29 ] ، وكقولهِ :{ اعملوا ما شئتم } [ فصلت :40 ] .

38-(كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ)

{ كل نفس بما كسبت رهينة } يقولُ : كلُّ كافرٍ مُرتهنٌ بِذنوبهِ في النارِ ،

39-(إِلا أَصْحَابَ الْيَمِينِ)

ثم استثنى ، فقالَ :{ إلا أصحاب اليمين } الذي أعطوا كُتُبَهُم بأَيْمَانِهم ولا يَرْتهنون بِذنوبِهم في النارِ ،

40-(فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ)

ثم هُم : { في جنات يتساءلون }

41-(عَنِ الْمُجْرِمِينَ)

{ عن المجرمين } فلما أخرجَ اللهُ أهلَ التوحيدِ مِنَ النارِ ،

42-(مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ)

قال المؤمنونَ لِمَنْ بَقِي فِي النارِ :{ ما سلككم في سقر } يعني مَا جعلكم في سقرٍ ، يعني ما حَبَسَكُمْ في النارِ .

43-(قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ)

فأجابَهُمْ أهلُ النارِ عن أنفسِهم :{ قالوا لم نك من المصلين } في الدنياِ للهِ

44-(وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ)

{ ولم نك نطعم المسكين } في الدنيا

45-(وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ)

{ وكنا نخوض مع الخائضين } في الدنيا في الباطلِ والتكذيبِ كما يَخوضُ كفارُ مكةَ

46-(وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ)

{ وكنا نكذب بيوم الدين } يعني يومُ الحسابِ أنه غَيرُ كائنٍ

47-(حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ)

{ حتى أتانا اليقين } يعني الموتُ .

48-(فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ)

يقولُ اللهُ تعالى :{ فما تنفعهم شفاعة الشافعين } يعني لا يَنالُهم يومئذٍ شفاعةُ
الملائكةِ والنبيينَ ،

49-(فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ)

{ فما لهم عن التذكرة معرضين } عن التذكرةِ يعنى عن القرآنِ مُعرضينَ ، نَزلتْ هذه الآيةُ في كفارِ قريشٍ حين أعرضوا ، ولم يُؤمنوا ،

50-(كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ)

شَبَّهَهُم بالْحُمُرِ الْوحْشيةِ الْمَذْعُورةِ فقالَ :{ كأنهم حمر مستنفرة } بتركِهِم القرآنُ إذا سمِعوا مِنهُ مِثلَ الْحُمُرِ

51-(فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ)

{ فرت من قسورة } يعني الرُّماةُ وقالوا الأسدُ

52-(بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً)

{ بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى } يقولُ : يُعطى { صحفا منشرة } فيها كتابُ مِنَ اللهِ تعالى ، وذلكَ أنَّ كفارَ مكةَ قالوا للنبيِ صلى الله عليه وسلم ، كان الرجلُ مِن بني إسرائيلَ ذَنْبُهُ وكفارةُ ذنبهِ يُصْبِحُ مَكتوبَا عِنْدَ رأسِهِ ، فهَلَّا تُرِيَنَا مثلَ هؤلاءِ الآياتِ إنْ كُنتَ رسولا كما تزْعُم ، فقال جبريلُ : إنْ شِئتْ فعلنا بهم كِفعلنا ببني إسرائيلَ ، وأخذناهُمْ بما أخذنَا بهِ بني إسرائيلَ ، فَكَرِهَ النبيُ صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : لِيُصبحَ عندَ رأسِ كلِّ رجلٍ مِنَّا كتابٌ منشورٌ مِن اللهِ بأنَّ آلهتَنا باطلٌ ، وأنَّ الإلهَ الذي في السماء حقٌ ، وأنكَ رسولُ ، وأنَّ الذي جِئتَ بهِ حقٌ ، وتَجئ معكَ بملائكةٍ يشهدونَ بذلك كَقوله ابنَ أبي أُميةَ في سورةِ بني إسرائيل

53-(كَلَّا بَلْ لا يَخَافُونَ الآخِرَةَ)

يقولُ اللهُ تباركَ وتعالى :{ كلا } لا يؤمنونَ بالصَّحُفِ التي أرادُوها . ثم اسْتَأنفَ ، فقالَ :{ بل } لكنَّ { لا يخافون } عذابَ { الآخرة }

54-(كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ)

{ كلا إنه تذكرة } يعني القرآنُ

55-(فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ)

{ فمن شاء ذكره } يعني فَهَمَهُ ، يعني القرآنُ ،

56-(وَمَا يَذْكُرُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ)

ثم قالَ :{ وما يذكرون } يعني وما يَشهدون { إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة } يعني الربُ تباركَ وتعالى نَفْسُهُ ، يقولُ : هو أهلٌ أنْ يُتَّقَى ولا يُعصى ، وهو أهلُ المغفرةِ لِمنْ يَتوبُ عن المعاصي .